تدبرات في اية ١١٧ سورة التوبة

تدبر في اية ١١٧من سورة التوبة

اعداد الدكتور
السيد حسين الموسوي الصافي

المحتويات

المعنى العام.....3
تساؤلات حول الآية واجوبتها.....3
دروس مستفادة من الآية.....17

بسم الله الرحمن الرحيم

تدبريات في قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). التوبة:117

المعنى العام

لغة: **العسرة**: الضّيق والشدَّة والصعوبة[1]. **الزيغ**: الميل[2]. **الرؤوف**: الرحمة وقيل أشد الرحمة أو أرق منها[3].

دلالة: الآية بصدد بيان شمول الرحمة الإلهية والمغفرة للنبي' ومن كان معه من المهاجرين والأنصار في وقت الشدة والضيق حيث كان البعض منهم أوشك على الردة والانحراف من الجهاد أو غيره ولكن المولى تعالى برحمته ولطفه مَنّ عليهم وانقذهم مما كانا فيه وغفر لهم.

تساؤلات حول الآية مع أجوبتها

السؤال الأول: هل توجد علاقة لهذه الآية: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...الخ) بما سبقها من الآيات؟

الجواب: **بيان بعد اجمال**: لمّا ذكر سبحانه في الآية السابقة: أنّ له ملك السماوات والأرض وما بينهما، ولا متولّي ومعطي نعمة ولا ناصر لأحد دونه، بيّن عقيبه رحمته بالمؤمنين ورأفته بهم في قبول توبتهم.

السؤال الثاني: ما هو الداعي في مجيء كلمة (لقد) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) مع أنّه يمكن الاستغناء عنها للإختصار ويقول مثلاً: (تاب الله على النبي...)؟

( ) لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص5631

( ) صحاح الجوهري، ج4 ص1322

( ) لسان العرب، ابن منظور، ج9 ص3.112

الجواب الأول: **للتأكيد**: مجيء (اللام) و (قد) لافادة التأكيد كما هو ثابت عند المختصين في حال دخولها على الفعل الماضي[4]. فتدل هنا على توبة المولى للمخطئين وقبول توبتهم بعد ما حصل منهم المخالفة.

الجواب الثاني: **لجواب القسم**: الاية في صدرها تشير الى وجود قسم من الله محذوف وجاءت كلمة (لقد) جواب له في قبول التوبة بتقدير (تالله) كما في قوله تعالى: (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) ولذلك ذهب بعض المفسرين لذلك بقوله: أقسم الله تعالى في هذه الآية ، لأن لام (لقد) لام القسم ، بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعاتهم[5].

السؤال الثالث: لماذا أكد سبحانه بتأكيدين (اللام) و (قد) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) حيث يمكن الاقتصار على واحدة لتحقق الغرض فيها ويقول مثلاً: (قد تاب الله على النبي...)؟

الجواب الأول: **لشمول القسم والتأكيد**: أنّ المولى سبحانه اراد بهذا التعبير أمرين: وهما الأول: الاشارة الى القسم كما تقدم. والثاني: بيان التأكيد والتحقيق.

الجواب الثاني: **لثبوت التأكيد**: انّ (قد) لوحدها تفيد التحقيق وتفيد التشكيك والتضعيف بحسب دخولها على الفعل والسياق بخلاف (لقد) دوماً تفيد التحقيق والتأكيد. وهذا ما كان المراد في الآية ثبوت التحقيق والتأكيد الدائم.

الجواب الثالث: **للفراغ من تحقق وقوع الفعل**: تأتي (قد) عادة في الاخبار وبداية الأمر اما (لقد) عادة تأتي في حال تحقق وقوع العمل كما نلاحظ ذلك في دعوة الأنبياء كما جاء على لساني نبي الله صالح وشعيب (...قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) اما عند انتهاء التبليغ قال: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي) فيشير الى الوقوع المفروغ عنه وهذا المراد في الاية أعلاه. فتكون زيادة قصوى في التأكيد.

السؤال الرابع: ما هو المغزى في التعبير بلفظ (التوبة) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) دون لفظ (الغفران) لكونه أقرب للمعنى ويقول مثلاً: (لقد غفر الله للنبي...)؟

الجواب: **عموم لفظ التوبة**: يستعمل لفظ التوبة تارة (للمغفرة) في حال طلب المخلوق التوبة من الله وأوجد شروطها فيتوب الله عليه وهنا تقتضي طرفين طالب

( ) شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستر آبادي، ج4 ص445

( ) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج5 ص5.135

لها وقابل لها. وتارة يستعمل لفظ التوبة (للرحمة) وهو يقتضي طرف واحد وهو الله وهذا ما نجده في القرآن ايضا كثيرا كما في قوله: (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) اي يرحمهم فهم لم يطلبوا التوبة, وعليه فالآية هنا شملت المعنيين المغفرة لمن أذنبوا وطلبوها, والرحمة لغيرهم. وهذا لا نجده في التعبير بلفظ (المغفرة).

*السؤال الخامس: ربما يفهم من الآية الكريمة أنّ النبي' ارتكب ذنباً فتاب الله عليه كما في قوله هنا: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) مع أنّ الثابت والمسلم عصمته' ونزاهته من صدور المعصية؟

الجواب الأول: **دلالة التوبة على الرحمة**: تقدم أنّ لفظ (التوبة) اعم تارة يراد به الرحمة وهي ما تشمل الانبياء^ وغيرهم والآية فيها الأثنين منهم من صدر منه الذنب وتاب ومنهم من لم يصدر منه ولكن شملته الرحمة سواء كانت تكوينية أم غيرها.

الجواب الثاني: **النبي' سبب للتوبة**: المراد هنا في ذكر النبي' كونه سبب لقبول توبة المهاجرين والانصار وهذا ما جاء في بعض الروايات ورد عن الصادق×: وأي ذنب كان لرسول الله' حتى تاب منه؟ إنما تاب الله به على أمته[6]. وجاء في تفسير القمي: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) قال الصادق× هكذا نزلت[7].

الجواب الثالث: **زيادة في الكمال**: طلب التوبة من الله ليس بالضرورة أن يكون عن ذنب أو خطأ وانما هو دعاء وحركة معرفية نحو الرقي والتكامل مما يشمل الانباء وغيرهم, كما جاء في قوله: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ). وكما جاء في الرواية عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً فَقُلْتُ أَكَانَ يَقُولُ - أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إِلَيْه قَالَ لَا ولَكِنْ كَانَ يَقُولُ - أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ قُلْتُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ' كَانَ يَتُوبُ ولَا يَعُودُ ونَحْنُ نَتُوبُ ونَعُودُ فَقَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[8].

( ) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج1 ص6.98

( ) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج1 ص7.297

( ) الكافي، الشيخ الكليني، ج2 ص8.438

السؤال السادس: لماذا عبر سبحانه بحرف الجر (على) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) دون الحروف الأخرى كاستعمال (الى) لكونها أقرب للمعنى اما انزال الرحمة أو الغفران فيكون أنزل الى النبي... أو غفر له ...؟

الجواب: **للاستعلاء**: حرف (على) يفيد الاستعلاء كما هو عند المختصين[9], ويفيد السعة والسيطرة من قبيل قوله: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) ولم يقل (لهم أو اليهم) وذلك ليفيد الاستعلاء والسيطرة والمنة. وفي الآية هنا يدل على المطلوب حيث أنّ نزول الرحمة أو الغفران من العالي بمنة وتعظيمه وسعة سيطرته.

السؤال السابع: ما هو السبب في التعبير بلفظ (النبي) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) دون التعبير بلفظ (الرسول) ويقول مثلاً: (لقد تاب الله على الرسول والمهاجرين...)؟

الجواب: **لحاظ الصفة الشخصية**: اسم (النبي) عام يحمل الصفة الشخصية والصفة الرسالية بخلاف اسم (الرسول) يحمل فقط العنوان الرسالي كونه رسول من الله مبلغ (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا). وهنا اشارة الى كون الخطاب في مسائل خاصة في شخص النبي' وهي شموله بالرحمة المؤدية الى التقرب والكمال.

السؤال الثامن: أليس النبي' من المهاجرين وداخل فيهم فلماذا أفرده سبحانه هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...) ولم يدخله معهم ويقول مثلاً: (لقد تاب الله على المهاجرين والانصار...)؟

الجواب الأول: **للتعظيم والتشريف**: وذلك تشريفاً لمقام النبي' وتعظيماً لمكانته كما هو سائد في التعابير القرآنية.

الجواب الثاني: **رفع الابهام**: افراد ذكر النبي' بيان لشموله الرحمة والتوبة بخلاف ما لو لم يذكر على انفراد لابهم أنّه' غير مشمول بالخطاب.

الجواب الثالث: **لسببيته' بالتوبة**: تقدم ان النبي' هو سبب في قبول توبتهم أو بدعائه نزلت الرحمة .

( ) شرح بن عقيل، ج2 ص9.23

*السؤال التاسع: لماذا قدم سبحانه المهاجرين على الانصار هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...) ولم يقل مثلاً (لقد تاب الله على النبي والأنصار والمهاجرين)؟

الجواب الأول: **لأشرفية الذوات**: من جملة المهاجرين النبي' واامير المؤمنين× والزهراء÷ وغيرهم من الكمل وهم بلا شك أفضل الخلق ويستحقون التقديم والصدارة كما جاء في الأمالي: عن النبي'، أنه قال: علي ابن أبي طالب خير البشر، ومن أبى فقد كفر(10).ايضاً من كان مع النبي' من المهاجرين أكثر من عشر سنين يتغذى من نفحاته ومعارفه فهو أعلم من غيره واشرف.

الجواب الثاني: **لسبق ايمانهم**: أغلب المهاجرين قد صدقوا النبي' في أول وهلة وناصروه وتحملوا معه المأساة والصبر والتهجير وغيره وطالما المولى يذكرهم بهذه الفضيلة كما في قوله: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى). وغيرها من الآيات.

الجواب الثالث: **هجرة الذنوب**: اذا نظرنا الى الآية من حيثية اخرى وأخنا البعد المعنوي وهو هجر الذنوب والمعاص ومن ثم النصرة ضد الشيطان وعدو الله فيكون بالطبع الهجرة مقدم لكونها علة للنصرة. كما في قوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

السؤال العاشر: ما هو الداعي في ذكر المهاجرين والأنصار هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...) دون الأكتفاء بذكر المؤمنين مثلا: كأن يقول: (لقد تاب الله على النبي والمؤمنين الذين اتبعوه...)؟

الجواب الأول: **للاحتفاء**: خص المهاجرين والانصار أولاً: للاحتفاء بذكرهم ومدى مناصرتهم للرسول' والشريعة. وثانياً: ثبات حقهم وبيان مواقفهم في الدفاع عن العقيدة والرسالة للامم والأجيال وهذا يعد من العدل والانصاف في تخليد مواقفهم بخلاف ابهام عناوينهم.

الجواب الثاني: **لدخول الصفاة الحميدة**: ذكر المهاجرين يدل على هجرتهم لملذات الدنيا والراحة والذنوب وتوجههم لنصرة الحق والرسالة وتحملهم المشاق فهم اضافة

( ) الامالي، الشيخ الصدوق، ص10.135

الى أنّهم مؤمنون يحملول هذين الصفتين وقد تحققت الاشارة لذلك بخلاف ذكر المؤمنين.

*السؤال الحادي عشر: ما هي العلة في تخصيص المهاجرين والانصار لغزوة تبوك هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...) دون غيرهم من المسلمين حيث انّها آخر الغزوات وبعد فتح مكة وما حولها؟

الجواب الأول: **للأغلبية أو الأصالة**: اما لاجل أنّهم الأغلب في جيش النبي' حيث هو من المهاجرين ومن الانصار والذين التحقوا بعد ذلك بهم فهم قلائل, واما لكونهم هم الأصل في سمات الجيش الاسلامي لقدمهم وخبرتهم وتجربتهم وقيادتهم ومن التحق بهم فهو تابع.

الجواب الثاني: **لحاظ الجانب المعنوي**: لو أخذنا اللفظين من زاوية أخرى وهي هجرت الملذات والدنيا ونصرة الحق فقد تنطبق على الجميع من المهاجرين والانصار وغيرهم.

الجواب الثالث: **لانطباق العنوان عليهم:** حصل الخروج لغزوة تبوك من المدينة المنورة ولم يكن فيها غير المهاجرين والانصار حتى بعد الفتح فهم الذين خرجوا مع النبي' ولم يحدث التاريخ أنّه' استعان بجيش من غير اهل المدينة.

السؤال الثاني عشر: لماذا اطلق سبحانه عليهم اسم (المهاجرين) هنا في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...) وقد انتفت عنهم هذه الصفة حيث فتحت مكة ورجعوا الى ديارهم؟

الجواب الأول: **لبقائهم على حالهم**: أنّ المهاجرين بقوا الى آخر حياتهم في المدينة كما هو حال النبي' وأهل البيت^ حيث لا زال هذا اللقب ينطبق عليهم في المدينة.

الجواب الثاني: **التلبس بالمشتق**: بعد ما انتزع لهم مفهوم االمهاجرين وتلبسوا به فيبقى بحسب اللحاظ العرفي والاعتباري جارياً فيهم حتى مع زوال عنوانه الواقعي.

الجواب الثالث: **هجرة الملذات**: المراد بالمهاجر من هجر المعاصي والملذات وآثر الأخرة ونصرة الحق.

السؤال الثالث عشر: ما هو المغزى في التعبير بلفظ (الاتباع) هنا في قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) دون التعبير بلفظ (الخروج) كأن يقول مثلاً: (الذين خرجوا معه في ساعة العسرة)؟

الجواب: **للطاعة والامتثال**: اضافة الى أنّه يشير الى اتباعه والسير معه يرشد الى الاتباع لكل الأوامر الصادرة من القيادة العلية فهم خارجون تابعون ومطيعون لكلما يصدر من النبيّ فهو امامهم وقائدهم وهم اتباع ومطيعون له... وهذا المعنى لا يتحقق بلفظ (الخروج).

*السؤال الرابع عشر: ما هو السب في عدم التصريح بالاسم بدل الضمير في لفظ (اتَّبَعُوهُ) هنا في قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) ويقول مثلاً: (الذين اتبعوا النبي في ساعة العسرة)؟

الجواب الأول: **للاختصار**: بما أنّ مرجع الضمير واضح في رجوعه على النبيّ سواء من خلال نظم الآية أو من فضائها ومعناها فلزم عدم ذكره مراعاة للاختصار.

الجواب الثاني: **للعموم والشمول**: ابهام رجوع الضمير ليعم النبيّ وايضاً اتّباع الحق سبحانه ومن نهج هذا الطريق بقيادة حقة يشملهم الخطاب لان القرآن الكريم نزل على نحو القضية الحقيقية ليس الخارجية كما في قوله: (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ).

السؤال الخامس عشر: لماذا عبر بلفظ (الساعة) هنا في قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) دون التعبير بلفظ (اليوم) أو(الوقت) لمطابقته لمقتضى الحال ويقول مثلاً: (الذين اتبعوه في يوم أو وقت العسرة)؟

الجواب: **لسرعة زوال العسرة**: عند تتبع لفظ (الساعة) الواردة في القرآن الكريم ما يقارب (39) مرة كلها تدل على الزمن القصير كما عليه المختصون المعبرون عنها أنّها جزء من الزمن أو النهار (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) وقوله: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}. وفي اللسان: الساعة : جزء من أجزاء الليل والنهار. يقال: جلست عندك ساعة من النهار أي وقتاً قليلاً منه ثم استعير لاسم يوم القيامة [11]. والمراد في جواب سؤالنا هو أنّ العسرة زمنها قصير بفضل الله وتعقبها اليسرى كما في قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) حيث عبر معها أي بالمعية ليس بعدها وايضا كررها.

( ) لسان العرب، ابن منظور، ج8 ص11.196

السؤال السادس عشر: ما هو السبب في التعبير بلفظ (العسر) هنا في قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) دون التعبير بلفظ الضيق أو الشدة ويقول مثلاً (الذين اتبعوه في ساعة الشدة أو الضيق)؟

الجواب: **لكونه مرتبة أشد**: لفظ (العسر) اشد مرتبة من غيره كما في قوله: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ). كما في قوله: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ). وقوله: (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكافِرِينَ) كما جاء عن بعض الأعلام: والظاهر من العرف هو الأخير، فان أهل العرف يطلقون العسر على كل شديد صعب، ولا يطلقون الضيق عليه ، ولم يثبت من اللغة خلاف ذلك أيضا[12].

السؤال السابع عشر: بما أنّ معركة تبوك آخر الغزوات وهو مما يدل على سعة رقعة الدولة الإسلامية وسيطرتها وقدرتها من لا سيما من الناحية المادية فلماذا عبرت عن هذه المرحلة بـ(العسرة) في قوله هنا: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)؟

الجواب الأول: **العسرة المناخية**: وقت الخروج كان في شدة الحر مما يؤدي الى العسرة الشديدة كما تذكر بعض النصوص وقد سبب في تخلف البعض. وليس المراد عدم القوة الاقتصادية وما شاكله.

الجواب الثاني: **فترة امتحان**: يروى في الطريق عند رجوعهم نفد مائهم مع شدة الحر فاصبهم ضيق شديد حتى دعا النبي' وانزل سبحانه الغيث كما جاء في المجمع: قال عمر بن الخطاب : أصابنا حر شديد ، وعطش ، فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعشنا بذلك[13].

الجواب الثالث: **العسرة السياسية**: هذه السورة تشير الى مرحلة عصيبة مرت بها الدولة الاسلامية من الناحية السياسية والامنية حيث تشير الى خطر الأعداء من خارج حدود الدولة الأسلامية ومن داخل حدودها من قبل المنافقين مما اضطر لجعل امير المؤمنين× في مواجهة الجبهة الداخلية والنبي' لمواجهة الجبهة الخارجية وقد اسهبت الآية في الاحداث الحرجة الصادرة من المنافقين وايضا من الشواهد تعرض النبي' للاغتيال.

( ) عوائد الأيام، المحقق النراقي, 12.184

( ) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج5 ص13.138

*السؤال الثامن عشر: ما هو الدعي في ذكر التفصيل هنا: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) حيث يمكن الاستغناء عنه تحاشياً للتطويل؟

الجواب الأول: **لبيان مورد التوبة**: هذا التفصيل يبين لنا مورد التوبة وهو في حال خروجهم الى القتال مع سوء الاحوال الجوية وشدة الحر لم يكن بشكل مطلق اما لشدة العطش أو لهول الحر الشديد مما جعل البعض يفكر في التخلف عن القتال.

الجواب الثاني: **لبيان الافراد**: هذا التفصيل يبين انّ الافراد الذين شملتهم التوبة سواء الرحمة أم المغفرة وهم الذين خرجوا معه الى القتال ليس عموم المهاجرين والأنصار.

السؤال التاسع عشر: ما هي الفائدة من ذكر القيد (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) مع أنّ العبارة كافية؟

الجواب: **تفصيل بعد اجمال**: عندما ذكر سبحانه الوقت ذات عسرة اردفه بالقيد التوضيحي الذي يشرح ويبين فيه مدى وبعد هذه العسرة التي أوصلت بعض المسلمين قريب الى الانحراف وعدم طاعة النبي' ومن دونها لم نعرف أبعادها وحالها .

السؤال العشرون: كيف صح التعبير للقلوب بصيغة (يزيغ) بـ(الياء) هنا في قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) دون الانسب له (التاء) كأن يقول: (كاد تزيغ قلوب فريق مننهم)؟

الجواب الأول: لكونه مجازي: القوب مؤنث مجازي ليس حقيقي فيجوز الرجوع له بالأثنين.

الجواب الثاني: **لشموله الذوات**: ليلفت سبحانه الى ذوات ونفس الاشخاص اصابهم هذا الامر الخطير من قرب الانحراف ليكن بهذ التعبير: (كاد يزيغ فريق منهم) فقد ذكر الجزء وألمح الى الكل.

السؤال الحادي والعشرون: كيف يكون (القلب) سبب للانحراف كما يفهم من الآية هنا: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) مع أنّه كتلة دماء لا تدرك؟

الجواب: **القلب المعنوي**: لفظ القلب المذكور في القرآن ليس هو نفسه المادي المضغة الصنوبرية المادية المعروفة التي تضخ الدم, بل هو المراد منه الجانب

الروحي المعنوي الذي يكون محلاً للانفعالات والتفاعلات الروحية والنفسية كما في قوله: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا). وقوله: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا). وكما جاء عن الامام السجاد×:... ألا إن للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه ، فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه[14].

السؤال الثاني والعشرون: لماذا ذكر سبحانه (زيغ القلوب) هنا في قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) دون الأشخاص ليقول مثلا: (من بعد ما كاد يزيغ فريق منهم)؟

الجواب الأول: **مقدمات الانحراف**: الحالة التي مرت بها هذه الشريحة من ضعفاء الايمان هو في بداية الانحراف والتفكير به وهو ما يكون من المحرك الرئيسي وهو القلب في التفكر والتفاعل والانفعال واخذ القرار فهنا تشير الى تفكر القلب وقريب أن يأخذ القرار فنسبه للقلب لانّه لم يتخذ القرار حتى يظهر على السلوك العملي كي ينسب الى الافراد.

الجواب الثاني: **ذكر السبب وارادة المسبب**: المحرك للأفعال سواء كانت خيرا أم شرا هو القلب فهو المسبب والمحرك في عملية الانحراف والشخص مسبب وخاضع لإرادته كما أشارت لهذا المعنى جملة من الآيات منها قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) فنسب المولى لزيغ له مباشرة لأنه السبب.

السؤال الثالث والعشرون: لماذا لم يصرح سبحانه هنا: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) بأسماء الذين اوشكوا على الانحراف او يصرح بانتمائهم كأن يقول: (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق من المهاجرين أو الانصار)؟

الجواب الأول: **للستر**: يتعامل المولى مع الخلق بمنطلق الرحمة والرأفة مما جعله يتستر حتى على العاصين في الدنيا ولم يفضحهم حيث أمهلهم كي يداركوا أمرهم كما يدل عليه ذيل الآية (إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) والافصاح عنهم يخالف رحمته ورأفته. وكما جاء في الدعاء: أنت الساتر عورتي[15].

( ) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص14.367

( ) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص15.598

الجواب الثاني: **لمصلحة سياسية**: الافصاح عنهم أو عن انتمائهم يولد حالة من الارباك السياسي والامني مما يخل بالنظام العام وهذه سياسة اعتمدها الاسلام لتغليب المصلحة العامة والحفاظ على الاختلال الامني حيث يولد حالة من التناحر والعداء بين المسلمين وربما يصل الامر الى التشهير والدخول في جدال وصراع. مع أنّ ابقائهم بهذا الحال اكثر تأثيرا وانجع تقويماً.

السؤال الرابع والعشرون: ما هو الداعي في تكرار عبارة التوبة ثانية هنا في قوله: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) مع أنّه ذكرها في صدر الآية (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) حيث يلزم التكرار؟

الجواب الأول: **للتسهيل:** المقطع الثاني من التوبة (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) المراد منه التسهيل أي بعد ما وصلوا الى حالة الهلاك سهل الله لهم برحمته طريق التوبة حيث تأتي -التوبة- بمعنى التسهيل كما في قوله: (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا[16]. وعلى هذا المعنى لا يوجد تكرار.

الجواب الثاني: **للتأكيد**: ربما اراد سبحانه تأكيد شعيرة التوبة في كل الأحوال فإنّها سارية في جميع الاصعدة حتى في حال التقارب من الميل والانحراف والتشكيك فيبقى باب التوبة مشرعاً كي لا يتوهم أنّ التوبة خاصة بشريحة دون اخرى.

الجواب الثالث: **لاختلاف الحال**: الأولى تتناول النبيّ وعموم المهاجرين والانصار بأنّ شملتهم الرحمة التكوينية والثاني تشير الى الفريق الذي اصابه الزيغ والميل نحو الانحراف فشملتهم التوبة الشرعية, وعلى هذا المعنى لا يوجد تكرار.

السؤال الخامس والعشرون: ما هو السبب في التعبير بالحرف (ثم) هنا في قوله: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) دون حرف (الفاء) ويقول مثلاً (فتاب عليهم)؟

الجواب: **للتراخي**: ثبت عند المختصين أنّ التعبير بحرف (ثم) تفيد التراخي والمهلة[17], أي فاصلة زمنية بين الطلب والقبول بخلاف حرف (الفاء) فانّه يفيد الترتيب الفوري, وهو مما يشير انّ قبول التوبة يحتاج مقدمات وتوفير مستلزمات مما يستدعي بالضرورة المهلة والفاصلة.

( ) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج5 ص16.139

( ) خزانة الأدب، البغدادي، ج4 17.313

السؤال السادس والعشرون: ما هو الداعي في ذكر الحرف المشبه (إنّ) هنا في قوله: (إِنَّه بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) حيث يمكن الاستغناء عنه للاختصار كأن يقول: (وهو بهم رؤف رحيم)؟

الجواب: **للتأكيد:** ليؤكد سبحانه أنّ رحمته وباب توبته مفتوح وواسع ويشمل كل العاصين على اختلاف مراتب المعصية ليثبت أنّ تعالى يتعامل مع العباد بهذا المنطلق الرأفة والرحمة سواء في الجوانب المادية كرحمتهم في انزال المطر أو المغفرة في ما حصل من الشك والميل نحو الانحراف والتخلف عن القتال, وهذا كله يستحق التأكيد.

السؤال السابع والعشرون: لماذا استغنى سبحانه هنا (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) بالضمير (إنّه) دون الاسم الظاهر لفظ الجلالة (الله) ويقول مثلاً: (إنّ الله بهم رؤوف رحيم) كما هو الحال في الآية: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)؟

الجواب: **لاختلاف السياق:** هنا سبحانه (وهو العالم) اراد ان يعطي بعدا ترابطيا لسياق الآية بأنّه لهذين الشريحتين او هذه الشريحة تعامل بالرحمة والرأفة ولذلك, ارجع الضمير الذي في ذيل الآية على لفظ الجلالة في صدرها بخلاف ما لو ذكر الاسم الظاهر لأخذ بعدا مستقلاً كما هو الحال في الآية الاخرى المفترضة. ليبين أنّ ما حصل هنا رحمة خاصة بهذه الشريحة.

السؤال الثامن والعشرون: كيف جاز أنّ يخص الرحمة والرأفة هنا (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) بهذه الشريحة مع انّه سبحانه رؤف ورحيم بكل الخلق والعباد؟

الجواب الأول: **المورد لا يخصص الوارد:** عندما خاطب سبحانه هذه الشريحة أنّه رأف بهم ورحمهم لا يعني أنّه سبحانه لا يرأف ويرحم غيرهم حيث أنّ القاعدة تقول: اثبات شيء لشيء لا ينفي ما عداه. فصفة الرحمة والرأفة عامة كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

الجواب الثاني: **لتحقيق شروط الرحمة:** للرحمة مقدمات وشروط مسبقة من العبد اذا تحققت شملتهم الرحمة كما في قوله: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) هذه الشريحة ممن توفرت بهم نوافذ قبول الرحمة فأشارت لهم الآية.

الجواب الثالث: **عموم الخطاب:** ربما المراد ليس خصوص هذه الشريحة بل عموم العباد بدليل ابهام ارجاع الضمير (بهم) في قوله: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فيمكن ان

يشمل هذه الشريحة وغيرها حيث كلهم عباد الله فيكون الكلام : إنّه بعباده رؤف رحيم.

السؤال التاسع والعشرون: ما هو الداعي في ذكر الصفتين (الرأفة) و(الرحمة) هنا: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) مع انهما يدلان على الرحمة فيمكن الاستغناء بذكر واحد للاختصار مادام يتحقق المعنى كأن يقول: (انّه بهم رؤف أو رحيم)؟

الجواب الأول: **للتأكيد**: ذكر سبحانه الصفتين والاسمين ليؤكد مدى اهمية هذه الشعيرة كما جاء عن بعض الاساطين قال: وإنّما جمع بين الرأفة والرحمة للتأكيد[18].

الجواب الثاني: **لحصول الفارق بين معنيهما**: ذكر جملة من المفسرين أنّ الرأفة تكون في دفع الاضرار والرحمة في انزال الافضال والاحسان[19]. فالإنسان يحتاج دفع ضرر وجلب منفعة كي يستمر في الحياة.

الجواب الثالث: **للخصوص والعموم**: ذكر كثير من المفسرين والمختصين أنّ الرأفة أخص وهي أما اشد الرحمة وابلغ أو تختص بدفع الاضرار واما الرحمة أعم تشمل الدفع والجلب. كما قال: والرأفة أقوى منها في الكيفية، لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم والرحمة: إيصال النعم مطلقا. وقد يكون مع الكراهة والألم للمصلحة كقطع العضو المجذوم [20]. وفي كل الاحوال يلزم ذكر الاثنين.

الجواب الرابع: **لارتباطهما بالعلة والمعلول**: منشأ الرأفة كمال حال الفاعل في ايصال الاحسان, ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم في حال المرحوم في الاحتياج الى الاحسان. (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ).

السؤال الثلاثون: لماذا قدم سبحانه اسم (الرأفة) على اسم (الرحيم) هنا في قوله: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) دون العكس لكون (الرحيم) محيط ويقول مثلاً: (انّه بهم رحيم رؤف)؟

الجواب الأول: **السلامة ثم الغنيمة**: على القول بأنّ الرأفة دف ضرر والرحيم جلب منفعة فيكون هنا تقديم الرأفة من باب السلامة أولاً ثم الغنيمة.

( ) زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج6 ص563.18

( ) المصدر السابق. 19.

( ) الفروق اللغوية، ابي هلال العسكري. ص247.20

الجواب الثاني: **من باب تقديم الأشرف**: بما أنّ الرأفة تتعلق بالفاعل والعلة كما تقدم والرحمة تتعلق بالمرحوم والمعلول فيكون تقديم الرأفة أوجب.

الجواب الثالث: **من باب التأكيد بالأبلغ**: تقدم أنّ الرأفة أخص وابلغ من الرحيم فيكون تقديمها في المقام أنجع وأبلغ وآكد. كما ذكر بعض المختصين: أراد أن التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى[21].

الجواب الرابع: **للفهم والنشر المرتب**: على القول بأنّ التوبة الأولى بمعنى الرحمة والثانية بمعنى الغفران فعليه أنّ الرأفة راجعة لدفع الضرر عن الشريحة التي اصابها العطش التي ذكرت في صدر الآية والثاني (الرحيم) غفران للمخطئين فيكون بحسب الترتيب السياقي الرأفة هنا مقدمة.

السؤال الحادي والثلاثون: ما هو الداعي في ذكر الصفتين (الرأفة) و (الرحمة) هنا في قوله: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) دون غيرهما من الصفاة كالغفور مثلاً للمناسبة ويقول مثلاً: (انه بهم غفور رحيم)؟

الجواب الأول: **لمقتضى المقام**: المقام الظاهر من سياق الآية الكريمة يقتضي استعمال الرحمة مع ابعادها حيث الكلام حول الضيق الشديد الذي مروا به المؤمنين حتى أوصلهم الى مرحلة الانحراف فيحتاجون الى رحمة حيث رأف بهم ورحمهم. بخلاف المغفرة فهي تحصل من خلال ارتكاب الذنب الصادر من الانسان من دون مضايقة.

الجواب الثاني: **ذكر السبب وارادة المسبب**: ذكر سبحانه الرحمة والرأفة التي هي سبب للغفران أي تاب عليهم وغفر لهم بسبب رحمته ورأفته بهم فعندما ذكر سبب الغفران وهو الرحمة فقد أراد المسبب وهو الغفران من قبيل قوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) السيئة الثانية المراد مجازات وهو مسبب من السيئة الأولى اي يقاص وهذا اطلاق السبب واردة المسبب فيكون من المجاز المرسل.

الجواب الثالث: **من باب العطف والتسهيل**: تقدم أنّ الشريحة الأولى اصابها العطش والفاقة الشديدة فتحتاج الى عطف ورأفة من القادر في هذه المرحلة والشريحة الثانية وصلت الى الهلاك المعنوي من جراء هذه العسرة ولكن ادركتهم الرحمة في تسهيل طريق التوبة لهم. (الْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

( ) المصدر السابق..21

الدروس المستفادة من الآية

(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

درس أخلاقي: التلبس بالرحمة

تتحدث الآية: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...) عن التعامل الالهي مع العباد في كل أبعاد التوبة حيث رأف بهم ورحمهم عندما لاحظهم في اشد الضيق مما يدعونا أن نتلبس بهذه الصفة والتعامل بهذا المنطلق مع أبناء جنسنا والابتعاد من الغلظة والجفاء كما جاء قال رسول الله صلى لله عليه وآله: مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى[22].

درس تربوي: أهمية طلب التوبة

نستفيد من خلال قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ) ضرورة احياء هذه الشعيرة في سلوكياتنا واورادنا حيث نجد ان النبي' كان يطلب ذلك من دون ذنب ليشعر انها تسبب في رفع الدرجات والمقامات ولنا في الاقتداء بالنبي' اسوة فقد جاء عنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه× قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه' يَتُوبُ إِلَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً فَقُلْتُ أَكَانَ يَقُولُ - أَسْتَغْفِرُ اللَّه وأَتُوبُ إِلَيْه قَالَ لَا ولَكِنْ كَانَ يَقُولُ - أَتُوبُ إِلَى اللَّه... [23].

درس أخلاقي: توفير شرائط قبول الرحمة

نستلهم من الآية: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) أهمية تحقيق شرائط قبول التوبة وارضية شمول الرحمة حيث المح سبحانه بلفظ (المهاجرين والانصار) الدال على هجرة الذنوب ونصرة الحق مما استحقوا شمول الرحمة وهذا يؤكد ضرورة تفسير هذه المقدمات لشمولنا الرحمة الالهية كما جاء عن الامام الكاظم× قال: إن أهل الأرض لمرحومون ، ما تحابوا، وأدوا الأمانة وعملوا بالحق[24].

( ) بحار الأنوار، المجلسي، ج58 ص22.150

( ) الكافي، الكليني، ج2 ص23.428

( ) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج14 ص24.7

درس عرفان: التوجه الى الله وحده

اشارة الآية من خلال قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ) الى قطع النظر عن غير الخالق والتوجه اليه بكل شيء كما نلاحظ ذلك من توجه النبي' الذي هو خير البشر والانبياء^ فسواء في الامور المادية أم المعنوية النظر والتوجه اليه فهو الوحيد الذي يستنقذ من الهلاك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ.

درس عقائدي: مكانة النبي عند الله

نستفيد من قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) عظمة النبي' ومكانته العليا عنده سبحانه وذلك عندما أفرده في الخطاب مع أنّه أحد المهاجرين ليبين مدى عظمته ومكانته وتمييزه عن غيره من المهاجرين والانصار كما اشار سبحانه الى جانب من عظمته: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وهذا يدفع بنا قدماً لتعظيمه' والدفاع عنه واتباعه.

درس تربوي: السبق الى الايمان

نستوحي من تقديم المهاجرين على الانصار في قوله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) أهمية السبق الى الايمان حيث قدمهم سبحانه على غيرهم لسبقهم الى الايمان مما يشير الى ضرورة السبق الى الايمان وجر الذنوب والمعاصي وعدم التأخير والتواني كما جاء عن أمير المؤمنين×: (اغتنموا أيّام الصحّة قبل السقم ، وأيام الشيبة قبل الهرم ، وبادروا بالتوبة قبل النّدم ، ولا يحملنّكم المهلة على طول الغفلة) [25].

درس عقائدي: العدالة الإلهية

تشير الآية (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) من خلال ذكر المهاجرين والانصار وتقديم بعضهم على بعض الى مدى ودقة العدالة الإلهية حيث بين أفضليتهم وأنّ الافضلية بحسب المراتب ليعطي لهم وسام وانتماء في بوتقة

( ) بحار الانوار، المجلسي، ج74 ص25.440

التاريخ وهذا من شعب عدالته سبحانه الذي لا يضيع عمل عامل كما في قوله: (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)

درس اخلاقي: اتباع المعصوم سبب للرحمة

نستفهم من خلال قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) انّ المتمسك بالعروة الوثقى تشمله الرحمة والفيوضات الإلهية كما شملت المهاجرين والانصار الذين حققوا شرط الاتباع للنبي' وهذا مما يؤكد على أهمية وضرورة اتباع المعصوم× وجعل سيرنا في خطاهم وتعاليمهم لنحظى برحمة وفيوضات المولى سبحانه.

درس اخلاقي: تفعيل ماكنة الصبر

نستشف من الآية (...سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) ضرورة تفعيل شعيرة الصبر حيث يعقبه الفرج واليسر من الله كما حصل مع المهاجرين والانصار فقد وقعوا في عسرة شديدة ولكن من الله عليهم باليسر وهذا مصداق تطبيقي حيث يواجه الانسان في حياته مطبات فيها عسر وضيق يحتاج الى تفعيل الصبر الى حين يعقبه الفرج واليسر فهي من السنن الثابتة كما في قوله: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا).

درس عسكري: طاعة القيادة العليا

نستوضح من الآية (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) ضرورة طاعة القيادة العليا في كل الأحوال والظروف حيث أشارت الى طاعة الجيش الى قائده العام' في أشد الظروف المناخية وغيرها الذي وصفه المولى بالعسير مما يدل على ضرورة الجهوزية التامة للدفاع عن الحق وبيضة الاسلام واطاعة واتباع القائد العام دون التقاعس والمماطلة.

درس أخلاقي: الاستعداد لمواجهة الباطل

نستشف من الآية الكريمة من خلال قوله: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) الجهوزية الكاملة والاستعداد التام لمواجهة الباطل الحاصل من الانس أم الجن كما اشار سبحانه في مواجهة الكافرين في وقت عسير وعصيب فلم يثنهم الظرف والشديد عن نصرة الحق ومواجهة الباطل وهذا مما يدعونا أنّ نهيء أنفسنا في كل الحالات والظروف ولا نسمح للعوائق تصد بيننا وبين المناصرة للحق كما في قوله:

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)

درس اخلاقي: ضرورة تطهير القلب

اشارت الآية: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) الى أهمية تطهير القلب وتحصينه حيث هو المحرك والسبب للانحراف والضلال فقد عبرت بزيغ القلب المؤدي الى انحراف الشخص فهو المصدر للخير وللشر فيلزم الاهتمام في تطهير القلوب من الرين وجعلها محصنة من الاهواء المؤدية الى انحرافها وميلها عن الحق, كما في قوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا).

درس تربوي: التستر على عورات الناس

نستلهم من الآية الكريمة من خلال قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) التخلق بهذه الشعيرة وهي الستر على عورات الناس عند الاطلاع عليها حيث نلاحظ المولى لم يصرح ويعرف باسماء وقبائل هؤلاء الذين يتصفون بضعف الايمان والميل الى الانحراف مما يؤكد ضرورة التلبس والتخلق بهذا السلوك وعدم فضح ما يراه من مثالب عند الغير كما عن الصادق×: ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة[26].

درس تربوي: الحذر من العبادة على حرف

نستوحي من الآية في قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) التوصية في الابتعاد عن التشكيك وضعف الايمان وضرورة تقوية البعد الايماني في النفس والسلوك وهذا يعرف عندما ذكر سبحانه مصداقا منهم عندما مرّوا بظرف عصيب وعسير مالوا الى الانحراف وشككوا في عقيدتهم مما يشير الى جهلهم وضعف ايمانهم بل مجرد ايمان لساني لم يصل الى القلب والسلوك كما اشار سبحانه بقوله: (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَه خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِه وإِنْ أَصابَتْه فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِه خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ).

درس أخلاقي: التخلق بسلوك الصفح

( ) عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي، ج1 ص26.375

نستفيد من خلال قوله: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) ضرورة التخلق والتلبس بسلوك الصفح والمغفرة لمن صدر منه الخطأ بالقول أو الفعل حيث أكد سبحانه تلبسه بهذه الصفة وكررها مرتين وغفر وصفح عنهم فحري بنا أن ننتحل وننتهج هذه الصفة والشعيرة وتكون مشربة في سلوكنا وافعالنا كما جاء في قوله: (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

درس اجتماعي: التحابب بين المؤمنين

نستنتج من خلال قوله: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) ضرورة التعامل مع الآخرين من المؤمنين بمنطلق التحاب والمودة والرئفة بهم كما نجده في تأكيد المولى على مدى التعامل مع المؤمنين بمنطلق المودة والمحبة وفي أقصى درجة منها ليعطي لنا توجيهاً وارشاداً الى أهمية التعامل مع المؤمنين سواء على الصعيد الاسري أم الاجتماعي بهذه الصفة والمنطلق كما جاء في قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً). وايضا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ× قَالَ مَا الْتَقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبّاً لأَخِيه[27].

( ) الكافي، الشيخ الكليني، ج2 ص27.127

جميع الحقوق محفوظة